

## المحاضرة الثامنة: ابن شهيد: (382هـ-426هـ)

**حياته:** هو أحمد بن عبد الملك بن شهيد الشاعر والأديب والناقد. كنيته أبو عامر، ولد بقرطبة وفي هذه البيئة نشأ وعاش حياة حافلة. فعرف الأمراء والوزراء وكان معجبا بشعره ونثره، معلما من مكانته ما يراه من نفسه من الذكاء والمقدرة، وعلى الرغم من ذلك فإن أصدقاءه كانوا كثيرين وهذا الإعجاب وضعه في موضع التفرد في نظر نفسه، فأراد أن يثبت وجوده وتفرد.

### مؤلفاته:

من مؤلفاته ذات الطابع النقدي: حانوت عطار، رسالة التوابع والزوابع ورسالة متفرقة تحدث فيها عن البيان. الكتاب الأول ضاع أما رسالة التوابع والزوابع أو شجرة الفكاكة فقد كتبها لصديقه أبي بكر يحيى ابن حزم يعرض فيها لأروع نتاجه ويتهم بمن كان يكايده من أهل قرطبة، وقد احتفظ ابن بسام في الذخيرة ببعض منها وهي تعتمد الفكرة القديمة في أن لكل شاعر شيطان (تابع) من الجن يلهمه الشعر، وقد أبطل فيها اعتقاد المرزوقي أن الجودة في الشعر والنثر لا تستقيم لشخص واحد. لذا عرض ابن شهيد شعره على قدماء الفحول: كامرئ القيس، وطرفة ابن العبد، والمحدثين كأبي نواس وأبي الطيب المتبني، فكل أجازة وشهد له بالإجادة ثم عرض نثره على الجاحظ وعبد الحميد بن يحيى فأجازاه كذلك فاستوت له التقدمة في الصناعتين، وهرب له تابع بديع الزمان الهمذاني حسدا وكمداء، وقال له صاحبا عبد الحميد والجاحظ <<أذهب فإنك شاعر وخطيب>>.

و لو كانت رسالة التوابع والزوابع وصلت إلينا كاملة، وكتب أخرى ضاعت لابن شهيد لاتضح مكانته الحقيقية في تاريخ النقد الأندلسي.

### آراؤه النقدية:

**مسألة البيان:** تعرض ابن شهيد لموضوع البيان كيف يتأتى للإنسان، وما هي أدواته وآلاته، وهو يرى أن البيان نتاج شيئين متلازمين: **الطبع**، ويعني به ما فطر عليه المرء من موهبة ومقدرة، والآلة، مما يستطيع التعليم أن يوجه به، ويصقل وينمي، ولا تستطيع الآلة وحدها أن تنفع في شيء، والطبع مركب من شيئين: الروح أو النفس والجسم ورأيه أن الروحانية إذا غلبت على الجسمانية طلعت صور الكلام والمعاني في أجمل هيئاتها وأروع لبساتها، وإذا غلبت الجسمانية كان ما يطلع من تلك الصور ناقصا عن الدرجة الأولى في الكمال والتمام. ويعطى هذه الروحانية قوة تستطيع أن تصبغ على الكلام رونقا وأن تأتي بالغريب (تركيب الحسن من غير الحسن) وهذه نظرية طريفة في الجمال تعد من ابتكاره، وضرب مثلا: يقول امرؤ القيس:

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلُّ البَالِي وَهَلْ يَعْصَنَ مَنْ كَانَ فِي العُصْرِ الخَالِي

فهذه ألفاظ عادية ولكن تعلق في النفس وتستولي على القلب.

فالكلام عن الطبع قديم عند المشاركة ولكن الجديد هو تفسير الطبع بأنه غلبة النفس على الجسم، وهذا لم يرد عند المشاركة.

### السراقات:

سبق الحديث عن ابن عبد ربه أنه كان يرى الأخذ سائغا إذا أحسن المرء ذلك، ورأي ابن شهيد لا يبتعد عن ذلك، فالأخذ عنده درجات، فمن الشعراء من يأخذ ويزيد فهو محسن ومنهم من يقصر فهو مسيء، وروى طرفا من حديث جرى بينه وبين الجن مما تعاورته الشعراء من المعاني ومن أحسن ومن قصر، ووضع اسما للأخذ، وأجرى ذلك على لسان شيخ من الجن يعلم ابنه صناعة الشعر: "إذ اعتمدت معنى قديما سبقك إليه غيرك فأحسن تركيبه وأرق حاشيته، وإذا لم يكن بد ففي غير العروض التي تقدم إليها ذلك المحسن لتتنشط طبيعتك وتقوي منتك".

### اللفظ والمعنى:

تكلم ابن شهيد عن هذه القضية عبر نصائح وجهها إلى الأديب الذي يريد أن يأتي بما يشيع اسمه وينشر ذكره، وهو ينصح بالبحث عن اللفظ الرائق والمعنى الرفيع بحيث يحصل باجتماعهما البيان: الذي طالما أشار إليه، ويحذر من تزويق اللفظ وبهرجته بما يذهب بأصالته ونصاعته فكم من شعر فضي البشارة رصاصي المكسر، فإذا اجتمع للأديب المعنى الكريم في اللفظ الكريم إلى شيء من البديع، مع توشية بنادرة أو حكمة فقد حاز ما يريد وإنما يستحق اسم الصناعة بتقحم بحور البيان وتعمد كرائم المعاني و الكلام وأن ينطق بالفصل. و ابن شهيد على تطلبه لحسن اللفظ وجمال المعنى يعجب بالبديهة ويعتبرها ميزة، ويرتاد ساحتها.

هذا ابن شهيد الناقد الذي ساعدته سخريته وشاعريته وحدة ذكائه ونوقه وضع بعض المصطلحات النقدية وأدرك تطور الشعر العربي والكتابة الفنية في مدارسها الشرقية وأصدائها الأندلسية وسوغ الأخذ بحدود. وأبدى إعجابه بمعارضة المتقدمين، وأعجب بالبديهة وفضلها على الترويح وحاول أن يفهم البيان ويضع للمبين صفات وقواعد .